المحاضرة الخامسة: أثر الفلسفة اليونانية في ابن رشد

عناصر المحاضرة: تمهيد/ **ترجمة ابن رشد/** ابن رشد بين العقلانية والفلسفة الإسلامية

تمهيد:

يعد ابن رشد واحداً من أشهر علماء قرطبة وبلاد المسلمين في العصور الوسطى؛ كما أنه ترَكَ في الثقافة الأوروبية بصمة لا يمكن أنكارها، فهو صاحب الدور الفعّال والمؤثر على العلوم الدينية الأوروبية والمعرفة الفلسفية.

وقد جايل ابن رُشد العصر الذهبي للإسلام في قرطبة، هذه الفترة الزمنية التي أنتجت للعالم عباقرة العلوم، الحِساب، الفلك والفِكر أمثال ابن رشد، الذين قاموا بإحداث طفرة فكرية غير مسبوقة في تاريخ البشرية، طفرة لم تحدث بهذا الشكل في أي مكان حول العالم قبل تلك الفترة.

ترجمة ابن رشد-:

هو محمد بن رشد المعروف بأبي الوليد آخر المفكرين العقلانيين في العصر الإسلامي، والذي هوجم واتهم بالهرطقة والكفر بدين الإسلام بسبب أرائه الرائدة في الفلسفة ضمن كنف الدين الإسلامي أو المسيحي في العصور الوسطى.

هذا الشخص المميز؛ ذُكِرَ في العديد من الكتب الفلسفية ليُعترف بتأثير أرائه الفردية، وتحفيزها لقيام عصر النهضة الغربي ليُعرف كواحد من أبرز المعلمين في الحضارة الغربية.

وللأمانة التاريخية؛ فقد كان كل من ابن سينا وابن رشد يعتبران المعلمين العظيمين في الفلسفة الغربية؛ فكل ما قالاه وعمِلا به انتشر ولاقى صداه في البلاد الإسلامية واستمر الأخذ به في عصر النهضة الأوروبي.

لقد قامت فلسفة ابن رشد على التعامل مع التقليد الديني الإسلامي المتشدد الذي كان سائداً على امتداد البلاد الإسلامية، حيث حاول أن يمزج بين جوهر العقيدة الإسلامية وبين التفكير العقلي وأن يثبت أنهما متكاملان في ضوء التراث الفلسفي اليوناني الذي أتيح له في تلك الفترة.

كَتَب ابن رُشد كل شيء فكَّر فيه من تعليقاتٍ وأراءٍ ضمن مجلَّداتٍ نقُلِت وتُرجمت إلى العِبرية واللاتينية، والتي سرعان ما تم التعليق عليها والتعمُّق في محتواها غربياً الأمر الذي يوضح أثر أبي الوليد.

وبالفعل تم اعتبار كتابات أرسطو وابن رشد بترجمتها اللاتينية منهجاً تعليمياً متكاملاً حيث تم تعليمها في مناهج نابولي (جنوب إيطالياً) الدراسية، وانتقلت منها لتتم مناقشتها أكاديمياً في جامعات باريس وبولونيا وكلية بادوفا التي أصبحت مدرسة تعلم فكر ابن رُشد الفلسفية وتُصبح ساحة للبناء عليه.

ابن رشد بين العقلانية والفلسفة الإسلامية

ككُل الفلاسِفة المسلمين الذين سبقوه؛ توجه ابن رشد إلى مناقشة أن الوحي الإسلامي أو الديني بشكل عام لا بد من أن يسترشد بالتفكُّر العقلي، واعتبر أن التفكُّر في الله وفي أسرار الخلق؛ يعتبر أحد أشكال العبادة بل هو أنبلها والذي يقوم على إِعمال العقل.

وبدراسة معمَّقة في كتاب "تهافت التهافت" الذي عُرف به خلال ردِّه على طروحات الفقيه الكبير أبي حامد العزالي – هذا لكتاب المشهور والمعروف بشكل كبير-يظهر لنا ابن رُشد مناظرة رائعة تجسِّد الخلاف والنزاع الذي لم ينحصر بينه وبين الغزالي) الذي توفِّي قبل ولادة ابن رشد) فحسب؛ بل جسَّد أيضاً النِّزاع الفكري الذي كان دائراً وشَغَلَ العُقول خلال القرون الوسطى.

فمن جهة كان يعتقد الغزالي أن كلَّ شيء يحدُث نتيجة لإرادة إلهية، ويحدُثُ بتدخلٍ إلهي مستمر، أي أن أبا حامد لم يطرَح أهمية لأي سبب ثانوي يكمن خلف أي أمر، وكان الأمر مختلفاً لدى ابن رُشد في جوهره فهو يؤمن بأن الإرادة الإلهية هي وراء كل شيء، ولكنهُ يعتقد "بأن إنكار السبب الفعّال والجوهري الذي يتم لأجله الأمر ويمكن ملاحظتهُ من حدوث الأشياء ... هو إنكار لكل الأشياء المعروفة، الأمر الذي يعني أننا لا يمكننا أن نتعلَّم من أي شيء في العالم أو نعرف الغاية منه."

في الوقت الذي انتهى فيه المفكرون الغربيون من إعادة اكتشاف أرسطو وفلسفته عبر ما وصل من كتابات ابن رشد المُترجمة، فقد وجدوا أنفسهم أمامَ مخزونٍ فكريٍ غنيٍ لشخص قام باستيعاب وهضم الفلسفة منذ نشأتها، بل قام أيضاً بتطويرها حتى زمنهم، فسموه بالمعلِّق العظيم وتأثروا بكل ما وصل إليهم منه.

في الواقع حتى الفلاسفة وعلماء اللاهوت الغربيين انقسموا فريقين وذلك عندما اطلعوا على نتاج ابن رُشد الفكري: المجموعة الأولى تتمثل بالليبراليين الذي قاموا باتباع منهج ابن رشد وتأييده وسمو فيما بعد بالرشديين "أفروستينن" تبعاً لأسم مدرسة ابن رشد وكان على رأسهم فيلسوف القرن الثالث عشر سيغر برابانت.

بينما المجموعة الثانية تتضمن الرهبان الفرنسيس كان المُحافظين وهم ناهضوا فكر وفلسفة الرشدية وكان على رأسهم الراهب توما الأكويني والذي هو من زُعماء رهبان الدومينكان.
في الواقع؛ كان الخلاف الدائر يحتشد ويتمحور حول كل من القضايا الفلسفية، العملية والتجريدية الميتافيزيقية، ولكن مع كل هذه الخلافات؛ إلَّا أنه حتى المعارضين لفلسفة ابن رشد لم يتمكنوا من التخلّي التام عن تأثيره فقد كان فهمهم لأرسطو مشروطاً بما كتبته أبو الوليد.